اليمن: هل يتجاوز الرئيس اليمني ارادة قيادة المؤتمر ولوبي الفساد؟

عبد الله مسعد الشعيبي*

■ هناك اقاويل وحكايات تروى وتتردد من خلف الكواليس وهمساً تقول والله اعلم: ان الرئيس اليمني ومنذ اعادة انتخابه لدورة رئاسية اخيرة يحاول جاهداً تجاوز الضغوط السياسية التي تفرض عليه من قبل غالبية قيادات حزبه ـ المؤتمر الشعبي العام الحاكم ـ وبعض من اقاربه ومستشاريه ورموز لوبي الفساد بهدف عرقلة رزمة من الاصلاحات التي تضمنها برنامجه السياسي كونها تتعارض وتتنافر مع مصالحها وقناعاتها في حالة التطبيق الجاد لتلك الرزمة.

واذا صحت تلك الاقاويل والحكايات فيعني هذا أن الرئيس يخوض معركة شرسة وقاسية مع قوى الفساد والتقليد وتكريس التخلف بعد ان فاض الكيل بفخامته من فسادهم كما ملهم الشعب واصبح يكرههم وينظر اليهم كعقبة كأداء ضد اي اصلاحات حقيقية والانتقال بالوطن الى الامام.

واذا صحت تلك الأقاويل فهذا يعني ان فخامته قد يخفق في تطبيق مشروعه السياسي وفي حالة وجد ان مقاومتهم ستشكل خطراً على الوضع العام... وهنا سيكون الرئيس بحاجة الى مساندة ودعم من قوى اخرى من خارج دائرة مؤسسة الحكم وهذه القوى قد تكون الناس او القوى السياسية الاخرى ومن مؤسسات المجتمع المدني وهنا قد تشتد حدة المقاومة للاصلاحات... ولكن في حالة توافر الجدية والمصداقية فقد يتمكن فخامته من الحصول على تلك المساعدة... أضف الى ذلك دعم المؤسسات الدولية ومعظم دول العالم.

واذا صحت تلك الحكايات فيعني هذا ان الرئيس امام امتحان عسير وقاس امام الناس ومنهم ناخبوه والاشقاء والاصدقاء خلال السنوات السبع القادمة... المؤشرات المتوفرة في الوقت الراهن تؤكد على صعوبة الامتحان بل وصعوبة التوقع بالنتيجة ومداها الزمني... ولكن هناك بعض من المؤشرات وهي قليلة تؤكد بان فخامة الرئيس صالح مصمم على تطبيق ولو بعض من اهداف برنامجه السياسي ولو بنسبة 50 الى 60 %.

والعملية برمتها ليست يسيرة بعد ثبات وتمكن القوى التقليدية والفاسدة من سيطرتها شبه الكاملة على مقدرات البلاد والعباد... وثبات وتمكن هذه القوى من كل شيء... نمت وتشعبت خلال فترة حكم الرئيس صالح البالغة 28 سنة ونصف. هذه القوى تشعر ان الرئيس صالح مدين لها من خلال استمراره بالحكم طوال هذه الفترة بفضل وقوفهم ومساندتهم له... بينما بسطاء الناس يرون العكس أي ان تلك القوى هي المدينة للرئيس من خلال سكوته عن ممارساتهم وغيهم كونه لم يكن يملك القوة الكافية لمكافحتهم والقضاء عليهم باقل الخسائر... وهناك لوم يوجهه معظم الناس الى الرئيس على تسامحه المستمر مع تلك القوى وأيضاً تباطؤه على تأسيس حقيقي لدولة النظام والقانون... وهذا اللوم كما يقول اصحابه لا يقلل من احترامهم لشخص الرئيس ولكنهم يتساءلون: الى متى سيظل الرئيس محاصراً بين مخالب وانياب تلك القوى؟ ومتى سيدرك أن الشعب مهيأ لاي اجراءات تغييرية جادة تحدث التغيير المطلوب واوله اجتثاث الفساد ورموزه؟

وفي اخر خطاب للرئيس بمدينة عدن الحالمة.. عدن الموعودة منذ 16 سنة واكثر بجعلها عاصمة تجارية واقتصادية.. وامام منتسبي الامن المركزي تحدث بما معناه انه ينبغي ان يتحمل المحافظون المسؤولية الكاملة على محافظاتهم من امنية وعسكرية ومالية وادارية و... و... وكذلك التخلص من معوقات الاستثمار او الطاردة له... وضرورة الجدية في مكافحة الفساد والفاسدين وعلى الفاسدين الرحيل بسلام.

في الحقيقة انا سررت من الخطاب ولن اكذب او اجامل اذا قلت اني لا زلت متفائلا باحداث اصلاحات حقيقية لو ان فخامته جاد فيما يقوله... ونحن ننطلق من قولنا هذا لادراكنا انه وحده الذي يملك القدرة على الانطلاقة الصحيحة لأنه وحده من يمتلك الوقت المناسب لجمع القوى الوطنية والمدنية والاجتماعية حوله في عملية الانطلاق كما انه هو وحده اللاعب الوحيد في الملعب السياسي الراهن الذي يمتلك الخبرة والمعرفة في مكامن الفساد والفاسدين وكيفية التخلص من اعبائهم ومشاكلهم واعمالهم القذرة... واما اذا استمر فخامته بنفس التشكيلة وافكارها فإنه سيصعب على اي كان توقع أي اصلاحات حقيقية ..وربما ياتي وقت يجد للرئيس نفسه غير قادر على مواجهة انصاره والرأي العام اليمني بكل قواه وفئاته وكذا الرأي العام العربي والعالمي لاقناعهم بصدقية توجهه.. وهنا فقط لا يوجد من يتحمل المسؤولية على الاوضاع العامة غير فخامته.. وقد يكون الوقت غير مناسب للتعبير عن الندم وعض الاصابع خصوصاً اذا فقد الناس ثقتهم في رجال السياسة واحزابه وقادته. ونعرف مسبقاً ان هناك بعض الاصوات المحسوبة على القوى التقليدية والفسادية لا يعجبها مثل هذه الطروحات بل وتعتبرها مجافية للواقع واما مطلقوها فهم خونة وشرذمة عميلة لا يحبون الرئيس والثورة والوحدة لانهم ينظرون لهذه المسميات باعتبارها ملكية خاصة بهم ولا يحق لغيرها التدخل فيها سوى بالنصح او النقد او مجرد الاشارة اليها رغم انهم يدركون جيداً ان تلك مسميات لا يمكن اضفاء القدسية عليها لأن القدسية لا يمكن ان تكون الا لكتاب الله وهو (القرآن الكريم) وغيرها تعتبر مجرد تسميات قابلة للنقد والتغيير والاصلاح والتعديل و..و.. الخ فالرئيس قد يتغير وان طال به العمر وهكذا بالنسبة للمسميات الاخرى ... اذن المطلوب هو العمل الصالح للدنيا لكي يكون الصلاح والخير لآخرتنا.

واذا كان الرئيس جاداً فيما يقوله على اعتبار انه اخذ العبرة من الماضي ومما يدور حوالينا فعليه ان يدعو مخلصاً لتأسيس دولة النظام والقانون... فهذا الكيان وحده الذي يضمن تحقيق الرخاء والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والتطور العلمي والثقافي وغيرها.. هذا الكيان وحده الذي يضمن ديمومة الوحدة والعدالة والمساواة والحرية والديمقراطية... ولنا ان نتصور شكل اليمن بعد غياب فخامته وغياب مقومات واسس دولة النظام والقانون.. وهنا ايضاً نسأل فخامته عن تصوره لشكل اليمن بعد غيابه؟... لأنه لا دائم الا الله... فهل تنفع لعناتنا ولومنا لقياداتنا السابقه؟ لذا نقول انه ومن هنا تنبع الضرورة بالتفكير المتعمق بالمستقبل من غير مزايدات ومغالطات على انفسنا والواقع والعالم.

الرئيس في خطابه الاخير كان شاحباً وغير مستقر ومهموماً في ادارته للوضع... كان كذلك الذي يحذر ويتوعد ويهدد من دون الاشارة الى القوى والجهات التي تعنيها تحذيراته وتهديداته وكأنه يقول لهم: الى هنا وكفى.. عليكم الانسحاب بأقل الخسائر واحمدوا ربكم على طيبة شعبكم وتسامحه... عليكم الانصياع لضرورات التغيير... انا تعبت منكم كما تعب الشعب منكم.

ولكننا كمراقبين لا نعتقد ان تلك القوى في وضع المتقبل لاي تحذيرات وتهديدات لانها ترى نفسها فوق الرئيس والثورة والوحدة والوطن. ونحن مللنا من رؤية وطننا وامتنا منكسرين ولا نحب ان نخلف الانكسارات والهزائم والفشل للاجيال القادمة.

ولو ان تلك القوى ـ الفاسدة والتقليدية ـ المتغطرسة والجشعة تحس او تملك مشاعر انسانية صادقة ووجهت ثمار فسادها لاستثمارها في الوطن لقلنا انهم يكفرون عن ذنوبهم بذلك بل وربما يحوزون على الرحمة والعفو من الشعب... ليتهم يستثمرون ما ينهبون في مشاريع انتاجية تعود بالفائدة للوطن والشعب... ليتهم يستثمرونها في الوطن بدلاً من اكتنازها في البنوك والعقارات الاجنبية وبغيرها من المشاريع... ويا ليتهم يكفون عن فسادهم اليوم قبل الغد حتى نتوقف عن الشحاتة والاستجداء من الخارج ...ليتهم يتوقفون عن اعمالهم القذرة والمرفوضة والمحرمة ليجنبوا الوطن المزيد من الضغوط السياسية والاقتصادية وليتهم يتوقفون والناس بكل تاكيد ستصفح عنهم وتفتح لهم صفحة جديدة من اولوياتها الرئيسية بناء دولة النظام والقانون.

الان وبعد 16 عاماً من قيام الوحدة اليمنية رغم ما اعتراها من شوائب ونواقص فلا يمكن اعتبارها نهاية التاريخ اليمني المشرق... ولهذا سنسمح لانفسنا بأن نوجه الى فخامة الرئيس بعض الاستفسارات لعلها تجد لها اجابات عملية وصادقة من دون قلق وخوف من مواجهة الحقيقة:

1ـ لماذا تأخر تنفيذ قرار تحويل عدن الى منطقة تجارية حرة؟ فمن يتحمل المسؤولية؟ ولماذا تم الغاء تسمية مطار عدن الدولي واغلاقه امام الرحلات الدولية حتى بالنسبة للشركة اليمنية للطيران؟ ومن هو المستفيد من كل ذلك؟

2ـ هل فعلاً تمت تصفية اثار حرب 1994 م وتنفيذ التعهدات اليمنية للمجتمع الدولي بشأن معالجة اثار الحرب؟ ومم يشكو ابناء الجنوب وتزيد شكاواهم الناتجة عن الاحساس بالظلم والتمييز والاقصاء والتهميش وهل يحق لهم ان يعبروا عن مواقفهم بالطرق السلميه؟ ثم اليس من الواجب عليكم دراسة شكاواهم ومعالجتها ومحاولة التقرب منهم لكي تسمع منهم الحقيقة وتساعدهم كي يتوقفوا عن الشكوى؟ والاهم اليس استمرار شكاواهم من دون معالجات يعني انهم فعلاً صادقون بشكاواهم ام انهم بالشكل العام يعتبرون انفصاليين ولا يمكن الوثوق بهم كما ان الوطن ليس بحاجة لهم؟

3ـ متى نتوقع التوقف عن التعامل مع مفردات القاموس السياسي اليمني المملوء بالعبارات والمفردات التي عفى عليها الزمن؟

4ـ لماذا الراسمال اليمني المهاجر يعزف عن الاستثمار في وطنه؟ نعم انه الخوف من عدم الاستقرار وانت تعترف بذلك اي ان سياسة الاستثمار اليمنية الرسمية تعتبر طاردة لكل استثمار؟ ومتى سيتم رد الاعتبار للشخصية اليمنية ومنها المهاجرة؟

5ـ متى ستتوقف عمليات نهب ثروات البلد والبسط المتعمد على ممتلكات الوطن والمواطن؟ ومتى سيقدم فاسد من الكبار الى محاكمة علنية بتهم الفساد اثباتاً لمصداقية برنامجكم الخاص بهذا الاتجاه؟

6ـ متى سيتم تطبيق نظام الحكم المحلي وانتخاب المحافظين ومدراء المديريات بصورة مباشرة كما يتم انتخاب الرئيس؟ وهل فعلاً ستمنح لهم كامل المسؤوليات ام انها مجرد دعاية سياسية هدفها اقناع الخارج فقط بجدية العهد الجديد القديم؟

7ـ متى سيتم تعديل قانون الانتخابات العامة بما يتلاءم والمتغيرات المتسارعة من حولنا؟

8ـ لماذا لا يقام حوار وطني موسع وشامل ومفتوح قابل لمناقشة كل القضايا من دون ترهيب ومصادرة وتخوين ومن ثم الخروج برؤية وطنية توافقية لمجمل قضايا الوطن وتطلعات الشعب؟ ما هي الموانع؟ وهل الحوار حرام او مجرم دستورياً؟

9ـ متى نتوقع ظهور قنوات تلفزيونية خاصة تطبيقاً لمبدأ الحرية الفكرية والسياسية والاعلامية؟

10ـ متى سيتم اصدار قرار بتعيين نائب للرئيس او التجديد للنائب السابق الذي لم يصدر به قرار بعد الانتخابات الرئاسية الاولى 1999م والتي توجت بانتخابكم رئيساً للجمهورية؟

11ـ هل ستكون هناك معايير محددة للتشكيل الحكومي الجديد والمرتقب مثل براءة الذمة المالية والكفاءة العلمية؟ ام انها ستتم وفقاً لمستوى الولاء والطاعة والقرابة لكم فقط؟

12ـ هل مجموعة مستشاريك تطلعك على التقارير الاقليمية والدولية التي تنشر عن اليمن وتتحدث عن الفشل والاخفاق وانعدام الشفافية وتنامي الفساد وتناقص مستوى الحريات و..و.. الخ ام انهم لا يبلغونك الا ما يحبون وما يتفق واهواءهم النتنة؟

13ـ ألم تر يا فخامة الرئيس ان نهب تراث اليمن الفني والاثري والانساني مستمر من القاصي والداني –عيني عينك– وكأن ذلك ليس من حق الوطن والشعب، وواجب الحفاظ عليه مسؤولية الجميع واولهم شخصكم يعتبر من اهم الاولويات؟ ثم متى ستشمل رعايتكم للمبدعين في كل مجالات الحياة كي يتمكنوا من الحفاظ على ثراث البلد واظهار صورة اليمن الحضارية بصورتها المعروفة سابقاً؟

ولا نعتقد بأننا في حاجة لنذكر فخامته بخطاباته اثناء الحملة الانتخابية الرئاسية وتصويره للأمور وكانها على ما يرام ولا تستدعي للقلق ثم ندعوه لمقارنتها بخطاباته بعد الفوز.. وكيف انه تحدث عن ضرورة مكافحة الفقر والبطالة والمحسوبية وتداخل السلطات وغيرها ...؟ نذكره فقط لعل الذكرى تنفع المؤمنين ونقول له كل شيء قابل للخطأ والتصحيح.. المهم ان نعترف بها ونبحث لها عن الحلول العقلانية والسهلة وفقاً للامكانيات المتوفرة... وليس عيباً الاعتراف بالخطأ.. فالخطأ مشروع ومقبول عند العمل الجاد واما الذي لا يعمل فلا يمكن محاسبته على خطأ لم يقم به كونه لا يعمل.. وهناك العديد من زعماء العالم ارتكبوا اخطاء واعترفوا بارتكابها مقابل ذلك يلاقون الصفح والعفو من شعوبهم ولكنهم لا يغفرون للذين يتمادون في اخطائهم وغيهم مهما طال الزمن.

ونقول لفخامة الرئيس انه ربما يوجد هناك من بين بطانتك من يزين لك الامور ويجملها بسوء نية وبطريقة متعمدة فهؤلاء لا يحبونك ولا يحترمونك بل يكرهونك ويخافون على مصالحهم من عدالة السماء والشعب . ولعلك يا فخامة الرئيس تعترف بأن اليمن اكبر من الفرد والجماعة... اكبر منك ومن حزبك.. وان الجميع وجدوا ليخدموا الوطن ويبنوه بصدق واخلاص وثقة... كما ان اليمن بحاجة الى جهد وامكانيات كل ابنائه مهما اختلفت مشاربهم الفكرية والسياسية... وهذا يعني انه يجب السعي لتكريس هذه المفاهيم الراقية بدلاً من مفاهيم الاقصاء والاستعداء والتخوين.

وفي مسك الختام نقول لفخامته: لا نريد لك الاخفاق في اي مجال لان اي اخفاق قد يحسب عليك ولكنه في الاخير سيكون اخفاقاً مدمراً ومؤلماً على الوطن والشعب ولا نعتقد انك او اي يمني يتمنى ذلك... فخامة الرئيس ان تغيير المفاهيم والرؤى والاليات ليس عيباً او جبناً او فشلاً ولكنه بمثابة تجربة ينبغي الاستفادة منها وشجاعة تستوجب الاحترام والتقدير... واليوم وبعد ان تحقق فوزك المتوقع واستمرارك في الحكم لسبع سنوات قادمة مطلوب منك مراجعة المفاهيم والرؤى والاليات السابقة لكم والعمل على تنقيتها وتعديلها حتى لو تطلب منك الامر اللجوء الى مشاركة قوى اخرى تشعر بانها تعادي وتخاصم تلك المفاهيم والآليات ولكنها لا تعادي ولا تخاصم شخصكم . اللهم اني وفقت في طرحي.

عفواً... اتذكر ان صديقاً لي حكى لي ذات يوم عن حلم رآه في المنام يقول: ان قائداً وزعيماً ما كان يخطب امام حشد من الجماهير المطيعة ويقول لهم.. لقد كذبنا عليكم.. الجماهير تردد بصوت واحد: نعم نعم، ويضيف الخطيب او الزعيم: لقد خدعناكم وخذلناكم، الجماهير تردد: نعم نعم، ويواصل الخطيب: نطلب منكم العفو والسماح وربنا غفور رحيم، يردد الجمهور المطيع وبتلقائية: لا لا لا.

سألت صديقي وماذا بعد؟ فاجابني: لا شيء.. لأني فقت من الحلم غير مصدق.

عفواً لا تعليق.

* كاتب وباحث من اليمن يقيم في بريطانيا

حلول غير عادية أفرزها الوضع الاقتصادي المتردي:

كيف يتغلب المصريون على الأزمة الاقتصادية التي تخنقهم؟

داود حسن*

■ يعيش المصريون هذه الأيام مشاكل اقتصادية قاسية أبرزها ارتفاع أسعار كافة السلع والخدمات بشكل جنوني، حتى أصبحت الغالبية الفقيرة والتي تزيد على خمسين في المئة من المواطنين غير قادرة على تلبية احتياجاتها الضرورية، ناهيك عن ارتفاع نسبة البطالة بين الشباب الى أكثر من 14 % وفشل كل برامج الدولة في تلبية احتياجات المواطنين، ناهيك عن وقف التعيين في الدولة، وزيادة نسبة الضرائب، واغلاق عشرات المصانع أبوابها، وانضمام المئات يوميا الى طابور العاطلين الطويل.

الا أن شريحة لا بأس بها من المصريين استطاعت أن تطوع هذه الأزمة وأن تتعايش معها بل وتتغلب عليها بأساليب ذكية، مشروعة وغير مشروعة، وان كنا سنركز هنا على ما نعرفه من تلك الأساليب المشروعة، حتى تواصل الحياة وتلبي احتياجاتها وتزوج أبناءها وتعلمهم عسى أن يأتي يوم تتحسن فيه ظروفهم المعيشية.

الجمعيات حصالة الموظفين والفقراء

لا يخلو حي شعبي في مدينة أو قرية أو مصلحة حكومية في مصر من وجود أكثر من جمعية تعاونية بين عدد لا يقل عن عشرة من الزملاء أو الجيران يتم من خلالها جمع مبلغ محدد سلفا شهريا، يتم تجميعه من كل عضو في تلك الجمعية لصالح شخص واحد من هؤلاء العشرة حسب من يصيبه الدور، ويبدأ المبلغ من ألف جنيه الى مائة ألف جنيه، وتستخدم هذه الأموال في تمويل زواج الأبناء والبنات أو استكمال بناء بيت أو سداد ديون أو شراء سيارة، وأمور أخرى كثيرة، ويندر أن تجد موظفا أو موظفة الا ودخلوا في هذه الجمعيات.

تقول أماني أحمد وهي موظفة باحدى المصالح الحكومية بالقاهرة انها شاركت في العديد من الجمعيات مع زميلات وزملاء واشترت بها العديد من السلع المعمرة كما ساهمت في تجهيز أخواتها للزواج رغم أن هذه الجمعيات كانت تقتطع جزءا كبيرا من دخلها المتواضع هي وزوجها.

وتقول زميلتها هناء ابراهيم: ماذا نفعل في ظل غلاء الأسعار وشظف العيش الذي نعيش فيه؟ ان مثل هذه الجمعيات بالنسبة لنا ما يشبه حصان طرواده الذي نواجه به مصاعب الحياة وضيق ذات اليد. وتقول انها وضعت العام الماضي كل ما جمعته من حصالة الجمعية لدفع رسوم الدروس الخصوصية لأبنائها الثلاثة في الثانوية العامة والاعدادية.

ويأخذ متولي محمود بأطراف الحديث ويقول ان الجمعيات فكرة ابداعية غير موجودة في العالم الا في مصر ولو تم عمل حصر بعدد الجمعيات أو المشاركين فيها لكان يجب أن توضع في موسوعة غنيس للأرقام القياسية أو توضع كنموذج للشعوب في التغلب على مشاكلها الاقتصادية بعيدا عن القروض وفوائدها والربا.

الأفراح تمول المشروعات الصغيرة

طريقة أخرى بدأت تنتشر في الريف (يوجد في مصر أربعة آلاف قرية) حيث تحولت الأفراح وحفلات الختان الى استثمار ومشاريع تدر أرباحا كبيرة، وتقوم فرق محترفة على تنظيمها، وأصبح الاحتفال يتجاوز القرية الواحدة الى قرى المراكز، حيث تضم بعض المركز أحيانا أربعين قرية، ففي قرى مركزي الجيزة والبدرشين التي التقينا العديد من المواطنين القرويين فيها وتحدثوا عن تجاربهم مع الأفراح في حل مشاكلهم المالية أو تحسين وضعهم الاقتصادي.

يقول سالم عبد الفتاح وهو من مواطني مركز الجيزة: منذ عدة سنوات تغيرت الطريقة التي كان ينظر لها السكان للأفراح بأنواعها والسبب هو الوضع الاقتصادي السيء الذي تعيشه مصر واضطررنا الى ذلك ففي البداية كانت الأفراح تتم بشكل طبيعي وكان الضيوف من أهل العروسين وأصدقائهما ومعارفهم يقدمون الهدايا المادية وقليلا من النقوط وهو مبلغ قليل من المال يتم رده فيما بعد في فرح من قدم هذا النقوط.

والآن – والكلام لسالم عبد الفتاح ـ تحولت المسألة الى تجارة، وربح وتكلفة باهظة.. فقد زادت قيمة ما يدفع من مال على سبيل المساعدة أو النقوط في الماضي من بضع جنيهات الى العشرات أو المئات، حتى أن البعض يقوم بعمل فرح ويكلفه ألفين أو ثلاثة آلاف جنيه فيجمع فيه عشرات الآلاف من الجنيهات يقوم باستخدامها في شراء سيارة أو بناء منزل وتأجيره أو فتح سوبر ماركت أو غير ذلك، ومن ريع هذه المشروعات يقوم بسداد هذه الأموال التي تعتبر قرضا شعبيا يقوم بتسديده على مهل وبالتقسيط المريح.

ويوضح سلامه ابراهيم من قرية بمركز البدرشين ان هذه الفكرة انتشرت في كل القرى وأن فرقا أو أناسا متخصصين في كل بلد بنسبة معينة من المال يقومون بالترويج للأفراح في قراهم ويوزعون بطاقات الدعوة ويكونون مسؤولين عن جمع الأموال وايصالها الى صاحب الفرح ويكونون هم الوسطاء في قراهم حتى أن بعض المدعوين يذهبون ويشاركون في أفراح لا يعرفون أصحابها.

لكن كيف يعرف صاحب الفرح ما عليه وما له من أموال؟ يقول بشير أبو النور ان المسألة في غاية البساطة حيث تحكمها كشوف تضم قائمتين قائمة الديون التي على صاحب الفرح أن يجمعها ممن دفع لهم، وقائمة المبالغ التي عليه أن يدفعها لمن دفعها له، وفي الغالب يكون الدين أكثر لأنك ان دفعت مائة جنيه لصاحب الفرح فهو سيردها لك مائة وخمسين وبالتالي فهو يدينك بخمسين جنيها وما عليك الا أن تدفع له الخمسين جنيها وينتهي الأمر أو أن تدفع له أكثر من ذلك وتكون أنت الدائن.

ولا يخلو الوضع هكذا من الاستغلال والمواقف الطريفة. يقول أحدهم ان شخصا شعر أن لديه آلاف الجنيهات عند أصحاب الأفراح فقرر أن يجمع هذه الأموال ورغم أنه ليس لديه أولاد الا أنه أعلن أنه سيقوم بختان نجله (المفترض) وجمع أمواله كاملة.

شخص آخر قرر أن يزيد استثماراته في الأفراح فأجل عمل حفل ختان لابنه حتى بلغ السابعة وكان الوضع صعبا على الطبيب الذي أجرى عملية الختان، وعلى الطفل المسكين الذي كان قد أنهى الصف الأول لتوه بالمدرسة الابتدائية.

مهن الهواء الطلق

لا تندهش عندما تقوم بوضع سيارتك في المرآب في أحد شوارع القاهرة أو الاسكندرية على سبيل المثال وأنت تجد شخصا يقترب منك ويعرض عليك مكانا ما لتركن فيه سيارتك، أو أن يمنعك من ذلك اذا لم تدفع المعلوم والمعلوم هنا هو ما تجود به نفسك لتعطيه للرجل بكل رضى أو وأنت تحت الضغط العصبي، هذه واحدة من عشرات المهن التي بدأت تدخل في قاموس العمل في مصر مثل مكاتب الهاتف والتليفونات الدولية والسمسرة في كل شيء، بل لا تندهش أكثر اذا كنت تسير على كورنيش النيل بالقاهرة وأنت تجد شابا يقترب منك عارضا عليك بيع مرطبات أو حلوى، فالعديد من هؤلاء الشباب ما هم الا أصحاب مؤهلات عليا وبعضهم أطباء ومهندسون وجامعيون ضاقت بهم دنيا العمل ولم يستطيعوا أن يجدوا فرصة للعمل.

من هؤلاء الشاب أحمد وهو متخرج من هندسة القاهرة قسم عمارة ولم يجد عملا جيدا يدر عليه ربحا يعوضه عن سنوات السهر الطويل والمذاكرة والأموال التي أنفقتها أسرته حتى أصبح مهندسا فلجأ لما يسميه بالأعمال الحرة، كذلك دخل مجال العمل على سيارات التاكسي عدد ليس بالقليل من الجامعيين، وهل سمعت عن مديرات أو مديرات منازل بالقاهرة الآن حاصلات عن درجات علمية كبيرة .. القائمة تطول والمهم ألا يطول هذا الوضع المتردي حتى لا يأكل الناس بعضهم بعضا.

* صحافي من مصر

مشانق الاحتلال: من عمر المختار الى صدام حسين

يحيى اليحياوي*

■ من التجاوز على حقائق التاريخ حقا، ومن ليّ عنق السياقات أيضا، أن يعمد المرء الى اعمال مبدأ المقارنة لينظر فيما يجمع الشهيدين عمر المختار وصدام حسين، أو النظر فيما يفرق بينهما:

■ فعمر المختار حارب الاحتلال الايطالي بجلد كبير لما يناهز عقدين من الزمن، فكان بذلك بمواجهة مباشرة مع الايطاليين يوجعهم تارات عدة، ويقتلون من رفاقه وأتباعه النفر الكثير تارات أخرى. في حين أن صدام حسين لم يمهله الزمن حتى يرتب المقاومة من حوله، ويعمد الى مجابهة الأمريكان بالارتكاز عليها أو من خلالها.

■ كان لعمر المختار سبل تنظيم الجهاد ضد الاحتلال الايطالي (وكان له الزمن الكافي أيضا)، في حين أسر صدام حسين قبل أن يتسنى له تصريف ما أعده عندما تأكد لديه أن بغداد لا محالة ساقطة بيد الاحتلال الأنجلوأمريكي.

■ وعمر المختار كان مطمئنا لمعاضدة شعب بأكمله لما يجاهد من أجله، ولم يكن من بين ظهراني أبناء طينته مرتزقة كثر ولا متآمرون عليه متعددون، فكان رافع لواء جهاد شعب بأكمله والمعبر بامتياز عن مظلومية ندر مثيلها. في حين اشتكى عدد كبير من العراقيين من ظلم صدام حسين وبطشه، فناصبه العداء غرماء له بالداخل ومعارضون له بالخارج، ناهيك عن المرتزقة وعداء بلدان الجوار واستعدائه (عن قصد أو بالتوريط المضمر) لدول كبرى اتخذت من الاستعداء اياه مطية لقلب نظام حكمه والزج بالبلاد في جريرة ذلك، في أتون اقتتال طائفي بدائي، لا تتراءى لنا نهاياته باعدامه، بل على مذبح من التقسيم الجغرافي البدائي للبلاد.

■ وعمر المختار استنبط رمزية الكاريزما من جهاد كان العدو في ظله واحدا، معروفا ومباشرا، في حين أن صدام حسين (لو كان له أن يقود المقاومة) كان سيكون بازاء عدو أجنبي واحد، معروف ومباشر، لكن أيضا بازاء أعداء متحصنين به (بالاحتلال أعني)، أو مدعومين من دول الجوار، أو ذوي وظائف ارتزاقية خالصة لا حساب لديهم الا حساب الغنيمة حتى وان جرت على البلاد القتل والخراب.

■ كان لعمر المختار (والشعب الليبي من خلفه) عدو واحد، في حين كان وبات لصدام حسين أعداء من كل الأطياف، بل قل ان كل الأطياف ناصبته العداء بمسوغ موضوعي ثابت، أو دونما مسوغ يذكر، اللهم الا المسوغ المبني على غريزة الثأر الصرف أو ناصية الانتقام الفطري المباشر.

■ ثمة دون شك أوجه تباين كبرى بين ظرفية الرجلين، والسياقات التي عملا فيها، والمحيط المباشر الذي أثر في فعلهما أو تفاعلهما مع الوقائع والأحداث... يجعل المماثلة بينهما (في الفعل أو السلوك) أمرا متعذرا بكل المقاييس.

■ واذا كان من غير المتعذر على المرء ايجاد زوايا تباين عديدة أخرى بين الرجلين طيلة مراحل حياتهما (بجهة أن عمر المختار لم يكن رئيس دولة مثلا، ولا كان صدام حسين رمزا دينيا وما سوى ذلك)، فان نهاية الرجلين متشابهة لدرجة التطابق في بعض من عناصرها الكبرى:

■ فعمر المختار سقط أسيرا من فوق فرسه وألقي عليه القبض وهو محاصر، وبندقيته بعيدة عن مرماه لم يستطع التقاطها، فاقتيد للسجن من أرض المعركة كأسير حرب، وحوكم بقوانين احتلال هو يرفضها ولا يعترف بها، ولم يتلكأ أمام غرسياني (الحاكم العسكري لليبيا) في الجهر بأنه لن يتردد في معاودة محاربة الطليان ان سنحت له الظروف والسياقات.

■ وصدام حسين اعتقل بدوره (عكس رواية الأمريكان) بعدما حاصرته قوات الاحتلال بضواحي بغداد وهو منهمك في الصلاة وسلاحه بعيد عنه، فاقتيد الى السجن مكبلا، ليحاكم فيما بعد بقانون وضعه الحاكم الأمريكي برايمر واستقت المحكمة مواده منه، لم يفتأ صدام حسين يطعن فيه ويرفضه، ويدفع بلازمة أنه الرئيس الشرعي للعراق.

■ وعمر المختار قدم أمام محكمة عسكرية صورية سريعة لم يستطع في ظلها الدفاع عن نفسه، في حين اعتبرت هيئة الدفاع عنه متطاولة على «قدسية» المحكمة عندما اعتبر المحامي الايطالي المنتدب أنه لا يجوز للمحاكمة أن تتم وفق القانون الايطالي ما دام «المتهم» لا يعترف بكون ليبيا جزءا من ايطاليا.

■ لم يختلف الأمر كثيرا مع صدام حسين حين اقتيد أمام محكمة معين قضاتها ونيابتها من لدن الاحتلال رجحت علانية كفة الادعاء العام، ولم تتوان في استفزاز الدفاع بسبب مرة (تشبث الدفاع بلقب الرئيس في الاشارة لصدام حسين) أو دونما سبب يذكر في العديد من الحالات.

■ صحيح أن لائحة الاتهام الموجهة للشخصين مختلفة أيما يكن الاختلاف، ووتيرة السرعة متباينة (بضع ساعات لعمر المختار، وأكثر من سنة بالنسبة لصدام حسين)، لكن منطوق الحكم في الحالتين معا كان مهيأ وقائما، ولم تعمد «المحاكمتان» الا الى تسويغه واعطائه بعضا من «المصداقية أمام الجماهير».

■ وعمر المختار حكم بالاعدام شنقا حتى الموت تماما كصدام حسين (وهما معا في العقد السابع من عمرهما لا يفصل بينهما الا عام أو عامان) ونصبت لهما المشانق قبل أن يتم النطق بالحكم.

في حالة عمر المختار أمر غرسياني المحكمة بالانعقاد للنطق بالحكم، وفي حالة صدام حسين "تنبأ" حكام العراق الجدد بأن الحكم لن يكون بكل الأحوال أقل من الاعدام... وكذلك كان.

■ تم تنفيذ الحكم على عمر المختار غداة صدور الحكم مباشرة، في حين أعدم صدام حسين بعد أربعة أيام من صدور الحكم عليه، ليشنق الأول بالتاسعة صباحا أمام جمهرة من 20 ألفا من مواطنيه منعوا من البكاء لولا صيحة امرأة كسرت جدار الصمت، وليشنق الثاني بالسادسة صباحا من توقيت بغداد بمقر الاستخبارات العسكرية... حيثما كان يعدم غرماءه عندما كان بالسلطة...هكذا قيل ويقال.

■ لم يرتجف عمر المختار وهو ينطق الشهادة. ولم يرتعش صدام حسين والحبل يحاك من حول عنقه. لم يستعطف الأول جلاديه، ولا استغاث الثاني «بحكام العراق الجدد» وهم من حوله مذهولون. لم يختلف الرجلان في هذه الجزئية. اذ بقدر مهابة الرجلين تأتى ضعف جلاديهم يوم الاعدام كما فيما أتى من أيام.

■ واذا كان عمر المختار قد دفن بمقبرة سرية لم يعرف مثوى قبره الا بعد سنين من الزمن على يد من وارى جثمانه، فان الأمريكان قد عمدوا الى تسليم جثة صدام حسين الى عشيرته ليدفن من بين ظهرانيها بعدما فتحوا له بيت عزاء...هما شنقا معا للعبرة فقط حتى يعلم الاحتلالين أن المشانق تنصب للصوص وقطاع الطرق ولا تقام للرموز والشهداء.

■ ما الذي أفاده اعدام عمر المختار لايطاليا؟ وفيم سيفيد شنق صدام حسين؟

■ لم يهنأ الاحتلال الايطالي هنيهة، اذ سرعان ما تجدد الجهاد على يد أتباع عمر المختار ليجبروا ايطاليا فيما بعد بقليل من السنين على الاندحار والاعتراف باستقلال ليبيا...ولن يفيد اغتيال قوى الاحتلال الأمريكي للرئيس صدام حسين، اذ في أعقابه ستفتح المواجهة مع الأمريكان دونما سبل للعودة... واذا كان من قدر الرجلين أن يعدما شنقا من لدن قوى احتلال فاشية في حالة عمر المختار واحتلال لا يقل عنه فاشية في حالة صدام حسين، فان الرجلين أضحيا جزءا ليس فقط من التاريخ الوطني المستمر، بل باتا دون منازع جزءا من ذاكرة جمعية لن تفنى...

رحم الله الشيخين المجاهدين، ونخالهم صدقا ضمن الأبرار والشهداء.

* باحث وأكاديمي من المغرب
elyahyaoui@elyahyaoui.org

الخطر الاسرائيلي والخطر الايراني!

د. جمال المجايدة*

■ الامين العام لحلف شمال الاطلسي (الناتو) السيد ياب دي هوب شيفر، قال كلاما غريبا لا يقبله عقل ولا يقره منطق، فهو يتحدث عن المصالح مع دول الخليج وضرورة التعاون معها، وفي الوقت نفسه يرفض مساعدة حلف الاطلسي لدول الخليج من الخطر الاسرائيلي والخطر الايراني، وكأن مهمة الحلف التدخل فقط في العراق وافغانستان، فهل هذا يعني ان الحلف يكرس نفسه لحماية اسرائيل أو انه متخصّص بالعرب والمسلمين فقط؟

وحجة السيد شيفر في ذلك انه لم يصدر من اسرائيل أي تهديد لأي من دول الخليج حتى الآن ولا حتى لايران وبقوله للمشاهد السياسي «نحن في حلف الناتو نتعامل مع الأمور بمنظور واقعي، واستناداً الى وقائع مطروحة وملموسة من جانب اسرائيل ليس هناك حرب معلنة منها تجاه أي من دول الخليج».

وحين سئل عن الخطر النووي الاسرائيلي باعتبار ان اسرائيل اعلنت رسميا على لسان رئيس وزرائها اولمرت خلال زيارته الى ايطاليا في كانون الاول (ديسمبر) 2006 انها دولة نوويّة تحتكم الى ترسانة نوويّة، ذهب السيد شيفر الي ما هو ابعد من حدود المنطق الذي لا يمكن فهمه من قائد اكبر حلف عسك